قصديّة استعمال حرف العطف في النصِّ القرآني - دراسة في ضوء روايات آل البيت (عليهم السلام)

د. وسن علي حسين

المديرية العامة لتربية بابل

Wasaan543@gmail.com

تاريخ الطلب : ١٧ / ١ / ٢٠٢٣

تاريخ القبول : ٢٢/ ٢ / ٢٠٢٣

ملخص البحث:

إنّ دراسة باب حروف العطف قد خضع لاتجاهينِ فكريينِ حكما المنظومة النحوية ، إذ نجد أنّ أهل القياس من نحاة البصرة الأوائل والتابعين لهم يثبتون لكلِّ حرف من حروف العطف معنًى مستقلاً ، فلم يقرّوا بتناوب (الواو) مع (أو) أو العكس، ولا (الفاء) مع (الواو) أو العكس، ولا (ثُمَّ) مع (الواو) أو العكس، ولا (أو) مع (بل) ، ولا غير ذلك من شواهد النيابة التي قال بها الفرّاء(ت٢٠٧هـ)، ونقلها عنه المشتغلونَ بمعاني القرآن وإعرابِ القرآن، وأحكامِ القرآنِ، والمفسرونَ، وأصّل لها أصحابُ حروف المعاني، ليستقرّ مذهب التناوب هذا، ويتأصل في الدراسات اللغوية المتأخرة منها والحديثة.

والبحث هذا يدرس قصدية استعمال حروف العطف بمعانيها اللغوية الموضوعة لها في جملة من مواطن التعبير القرآني في ضوء روايات أهل البيت ، فهم(عليهم السلام) عِدْلُ القرآن وتراجمةُ وحيه والراسخون في علم الكتاب الذين أحاطوا بحقيقة معانيه ، ومقاصده ومراميه .

وفيما يأتي نماذج من النصوص القرآنية التي وردت فيها حروف العطف لقصد غاب عن أذهان المفسرين وأصحاب كتب معاني القرآن الكريم وإعرابه ، على حين بينت الروايات الشريفة للمعصومين (عليهم السلام) قصدية استعمال معنى هذه الحروف في كل نص ، وستُذكر النماذج التي تضم هذه الحروف بحسب المتعارف عليه في كتب اللغة :(الواو ، الفاء ، ثم ، أو) .

المقدمة :

إن استعمال حروف العطف في النص القرآني يخضع لقانون قصدية التعبير ، شأنه في ذلك شأن البنى والتراكيب اللغوية والنحوية ، ذلك أنّ نصّاً في أعلى درجات الفصاحة ، لا يُتُوقَّعُ فيه أن ترد الاستعمالات محتملة لأخرى تنوب عنها، وذلك يشمل حروف العطف قطعاً . ولنضربْ صفحاً عن اجتهادات النحويين والمشتغلين بعلوم القرآن في تحميل حروف العطف في النصوص

القرآنية احتمالات متعددة ، بحسب اختلاف مشاربهم اللغوية والعقدية في تفسير النص، وما يُحتمَل فيه من قراءات تأويلية تفتح مجالات واسعة لدلالات متنوعة قد يصل بعضها إلى حدِّ التمحُّل والتكلُّف في بيان معنى الحرف ضمن سياقه اللغوي .

ولا يخفى أن باب تناوب حروف العطف قد خضع للاتجاهينِ الفكريينِ اللذينِ حكما المنظومة النحوية ، إذ نجد أنّ أهل القياس من نحاة البصرة الأوائل والتابعين لهم يثبتون لكلِّ حرف من حروف العطف معنًى مستقلاً ، فلم يقرّوا بتناوب (الواو) مع (أو) أو العكس، ولا (الفاء) مع (الواو) أو العكس، ولا (ثُمَّ) مع (الواو) أو العكس، ولا (أو) مع (بل) ، ولا غير ذلك من شواهد النيابة التي قال بها الفرّاء، ونقلها عنه المشتغلون بمعاني القرآن وإعراب القرآن، وأحكام القرآن، والمفسرون، وأصّل لها أصحاب حروف المعاني، بدءاً من الهروي، ثم المالقي، ثم المرادي، ثم ابن هشام ، ليستقرّ مذهب التناوب هذا، ويتأصل في الدراسات اللغوية المتأخرة منها والحديثة، حتى عاد الكلام على نقضه وإثبات قصدية استعمال حرف العطف ضربٌ من التجوُّز اللغوي والخروج عن المألوف في دراسة هذه الحروف.

والبحث هذا يدرس قصدية استعمال حروف العطف بمعانيها اللغوية الموضوعة لها في جملة من مواطن التعبير القرآني في ضوء روايات أهل البيت ، فهم(عليهم السلام) عِدْلُ القرآن وتراجمةُ وحيه والراسخون في علم الكتاب الذين أحاطوا بحقيقة معانيه ، ومقاصده ومراميه .

وفيما يأتي نماذج من النصوص القرآنية التي وردت فيها حروف العطف لقصد غاب عن أذهان المفسرين وأصحاب كتب معاني القرآن الكريم وإعرابه ، على حين بينت الروايات الشريفة للمعصومين (عليهم السلام) قصدية استعمال معنى هذه الحروف في كل نص ، وستُذكر النماذج التي تضم هذه الحروف بحسب المتعارف عليه في كتب اللغة : (الواو ، الفاء ، ثم ، أو) .

النموذج الأول: في قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها[1] ﴾ ، احتمل ابن جزي أن تكون(الواو) في ﴿ أَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها﴾ ، بمعنى (أو) ، قال: ((﴿ فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها ﴾ أي: عرّفها طريق الفجور والتقوى، وجعل لها قوة يصحُّ معها اكتساب أحد

[1] – سورة الشمس : الآيتان ٧- ٨ .

الأمرين، ويحتمل أن تكون(الواو) بمعنى(أو)، كقوله: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾[٣] .)) [٢]

ويُفهم من نصِّه أنّ المعنى الذي ناوبت فيه(أو) في الآية الكريمة (الواو) هو معنى التفصيل، أي: إنّ الله سبحانه وتعالى ألهمَ المخلوقين الفجور والتقوى، فاختار قسم منهم الفجور ، واختار آخرون التقوى، يشهد لذلك أنه ناظرَ معنى هذه الآية بالنص القرآني الذي يقسم الناس قسمين : شاكراً أو كفوراً، فقال في تفسير هذا النص: ((﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾، أي: سبيل الخير والشر، ولذلك قسّم الإنسان إلى قسمين: شاكراً أو كفوراً)) [٤]، وتابعه في رأيه هذا السيوطي، ونقل كلامه بنصه[٥] ، وتابعهما أيضاً ابن عجيبة الأنجري، قال: ((﴿ فألْهَمَها فجورَها وتقواها﴾ أي: ألهمها طاعتها ومعصيتها، وأفهمها قُبح المعصية وحُسن الطاعة، أو عَرَّفها طرق الفجور والتقوى، وجعل لها قوة يصحُّ معها اكتساب أحد الأمرين، ويحتمل أن تكون(الواو) بمعنى(أو) كقوله: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ ، أي: ألهم مَن أراد شقاوتها فجورها فسعت إليه، وألهم مَن أراد سعادتها تقواها، فسعت إليه)). [٦] وقيل في معنى الإلهام في الآية الكريمة ثلاثة توجيهات:

الأول : إنّ الإلهام هنا بمعنى الإلزام، وإنّ الضمائر المذكورة في الآية تعود على الله سبحانه وتعالى، فـ (الواو) جمعت بين معنى إلزام الله سبحانه المخلوقين الفجور، والتقوى ونُسِبَ هذا القول إلى أهل السُنّة[٧]، واختلف المفسرون في التعبير عن معنى(الإلزام) هذا، فقال ابن قتيبة: ((﴿ فألهمها فجورها وتقواها أي عرّفها بالفطرة))[٨]، وقال القرطبي: ((عرّفها طريق الفجور والتقوى، وقال ابن عباس وعن مجاهد أيضاً: عرّفها الطاعة والمعصية)). [٩]

المذهب الثاني : إنّ الإلهام في الآية الكريمة بمعنى الإفهام، أي: إفهام النفس طريق الخير وطريق الشر، وترك الخيار لها، و(الواو)على ذلك تجمع بين معنى إفهام النفس عاقبة طريق الفجور وعاقبة طريق التقوى، ونُسِبَ هذا المذهب إلى المعتزلة القائلين بالتفويض الرافضين لمذهب أهل السُنّة في الجبر.[١٠] وأوضح هذ المعنى الزمخشري بقوله :((ومعنى إلهام الفجور والتقوى: إفهامهما وإعقالهما، وأنّ أحدهما حَسَنٌ والآخر قبيحٌ، وتمكينه من اختيار ما شاء منهما، بدليل قوله:

---

[٢] – سورة الإنسان : الآية ٣.

[٣] – التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٤٨٦.

[٤]– التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٤٨٦.

[٥]– ينظر : معترك الأقران ٣/ ١٢٥.

[٦] – البحر المديد ٧/ ٣٠٩.

[٧] – ينظر: مفاتيح الغيب ٣١/ ١٧٧.

[٨] – غريب القرآن ٥٢٩.

[٩] – الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٥.

[١٠]– ينظر مفاتيح الغيب ٣١/ ١٧٧.

 قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها* وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها [١١] فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما))[١٢] ، وتابعه في هذا البيضاوي، والنسفي، وأبو السعود. [١٣]

الثالث : إنّ معنى الإلهام في الآية الكريمة التبيين، أي: بيّن للنفس البشرية الشر والخير، وإنّ لها الاختيار بينهما، على أن هذا الاختيار منوط بقدرة الله ومُسَببٌ بأسباب تقتضي التقوى أو الفجور، فهو ليس بجبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين وهو قول الإمامية ، استناداً إلى ما رُوي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فقد ورد في الأثر عن الرسول أنه كان يقول: إذا قُرِئت عنده هذه الآية :((اللّهُمَّ آتِ نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وزَكِّها أنت خيرُ مَن زكّاها)).[١٤] وقال أمير المؤمنين عليه السلام :((عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحل العقود)). [١٥] وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير هذه الآية :((وقوله: فألهمها فجورها وتقواها أي: عرّفها وألهمها ثم خيّرها فاختارت)).[١٦] وبهذا القول استشهد الطبرسي في بيان معنى الآية فقال: ((روى زُرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام) في قوله: فألهمها فجورها وتقواها) قال: بيَّن لها ما تأتي و ما تترك، و في قوله: قد أفلح من زكّاها ، قال: قد أفلح مَن أطاع ، وقد خاب من دساها، قال: قد خاب من عصى)).[١٧] ويوضِّح السيد محمد حسين الطباطبائي معنى الأمر بين الأمرين في الآية فيذكر ((أنّ وجوب صدور الفعل حسنة أو سيئة منهم بالنظر إلى القضاء والقدر السابقين، لا ينافي إمكان صدوره بالنظر إلى الإنسان واختياره ... أقول: انتساب التزكية والتخييب إليه تعالى بوجهٍ لا ينافي انتسابهما بالطاعة، والمعصية إلى الإنسان)).[١٨]

ويمكن القول :

١ـ إنّ ما ذهب إليه ابن جزي ومن تابعه، بأنّ (الواو) في الآية الكريمة بمعنى(أو) على تقدير التفصيل، أي: تقسيم المُلْهَمِين فريقين: أصحاب الفجور، وأصحاب التقوى لا دليل عليه من سياق الآية الكريمة، وهو يناقض ما ذهب إليه المفسرون في معناها ، إذ يتضح من أقوالهم ـ على اختلاف عقائدهم ـ أن الآية في مقام بيان الإلهام الإلهي للإنسان ، وتعريفه، وإفهامه أن أمامه طريقين في مسيرته طريق الخير وطريق الشر وتبيين أحوال كلٍّ منهما وعاقبتهما ، وليست الآية في مقام تقسيم المخلوقين بحسب اختيارهم إلى أهل فجور وأهل تقوى .

---

[١١] – سورة الشمس : الآيتان ٩– ١٠.

[١٢]– الكشاف ٤/ ٧٥٩.٧٦٠.

[١٣]– ينظر : أنوار التنزيل ٥/ ٣١٥، ومدارك التنزيل ٣/ ٦٤٨، و إرشاد العقل السليم ٩/ ١٦٤.

[١٤]– ميزان الحكمة، للريشهري ٤/ ١٥١.

[١٥] – بحار الأنوار ٥/ ١٩٧.

[١٦] – تفسير القمي ٩٩/١، وينظر: الكافي١٦٣/١.

[١٧] – مجمع البيان ٣٣٠/١٠.

[١٨] – الميزان في تفسير القرآن ١٦٨/٢٠.

٢ـ إنّ استدلال ابن جزي ومن تابعه بآية إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ؛ لإثبات معنى التفصيل في آية فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها، ليصحّ تناوب(الواو) و(أو) ينقضه اختلاف مقصد الآيتين الكريمتين المدلول عليه باختلاف سياق كلٍّ منهما، فالآية موضع الدراسة سيقت مع ما قبلها من آيات كريمة للقسم بأمور عظيمة تُظهر آثار قدرة الله سبحانه في خَلقه المحسوس، وغير المحسوس كرفع السماء، وطحو الأرض، وتسوية النفس المُلهَمَة في فطرتها بتدبير شؤونِها باكتمال الملكة العقلية التي أودعها الله القدرة على التمييز بين الفجور والتقوى، وعرّفها طريقَ كلٍّ منهما، فكانت(الواو) بما تحمل من معنى الجمع أداة مقصودةً ؛ لبيان ذلك المعنى. أمّا سياق الآية الأُخرى فغرضه التنبيه على أنّ هداية الإنسان إلى السبيل هي من متطلبات ابتلائه ، وأنّ الابتلاء- كما هو معلوم - سيؤول إلى التقسيم حتماً ، فهو إما إنسان شاكر أو إنسان كفور ، ونلحظ أيضاً أنّ سياق الآية يعرض لمرحلة تالية لمراحل الخلق الأولى ، إذ إنّ الكلام فيها على النتيجة التي يتحصَّل عليها الإنسان بعد ابتلائه العملي في هذه الحياة الدنيا.

٣ـ إنّ اختلاف أهل التفسير في معنى الإلهام ، بين الجبر أو التفويض ، أو أمر بينهما ، لم يُغيّر في معنى الجمع بـ (الواو) شيئاً، بخلاف ما نظّر إليه ابن جزي بأن نيابة أو عن (الواو) هنا ستحيل المعنى إلى تقسيم المُلهَمين : إمّا أهل فجور ، أو أهل تقوى.

النموذج الثاني: في قوله تعالى: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . [١٩]

فسّر أكثر المفسرين (الداني والمتدلي) في الآية المباركة بجبرائيل، دنا من النبي يوم الإسراء به فتدلى إليه[٢٠]،و رأى بعضهم أن(الداني والمتدلي) هو الله تعالى، ليلة أُسري بالنبي إلى السماء السابعة، فكانَ منه قابَ قَوْسَيْنِ، يعني قدر ما بين طرفي القوس بل أقرب من ذلك، فَأَوْحى الله إلى عَبْدِهِ ما أَوْحى.[٢١] وذهب آخرون إلى أنّ الكلام فيه تقديم وتأخير، كأن المعنى: ثُمَّ تدَلَّى فدَنا، وهو جائز إذَ كَانَ معنى الفعلين وَاحداً أَوْ كالواحِدِ ،نحو: قَدْ دنا فقرُبَ، وقرُبَ فدَنا، وشتمني فأساء، وأساء فشَتَمَنيِ، لأن الشتم والإساءة شيء واحد.[٢٢]

والقول إنّ الله سبحانه هو الداني نحو النبي ، وإنّه هو المتدلي منه ، يؤول إلى شبهة التجسيم والتشبيه ، فضلاً عن عدم اتساق الكلام إلا على تناوب الفاء والواو ، أو على القلب اللفظي.

---

[١٩] – سورة النجم : الآيتان ٨ ـ ٩ .

[٢٠] – ينظر: جامع البيان ٢٢/ ٥٠٢، و تفسير القرآن ، لابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣١٩، وتأويلات أهل السنة ٤١٧/٩، وبحر العلوم ٣٥٩/٣، والتبيان في تفسير القرآن ٤١٢/٩، ومجمع البيان ٢٦١/٩، والجامع لأحكام القرآن ٨٩/١٧، وأنوار التنزيل ٥/ ١٥٧، و مدارك التنزيل ٣/ ٣٩٠ .

[٢١] – ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ١٦٠/٤، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٧١، ومعالم التنزيل ٣٠٢/٤.

[٢٢] – ينظر: معاني القرآن، الفراء ٩٦/٣، وجامع البيان ٢٢/ ٥٠١ ، والكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٣٧/٩، والتبيان في إعراب القرآن ٤١١/٩.

أمّا إذا كان الداني والمتدلي هو جبرائيل (عليه السلام) فالمحصّل منه أنّه سيكون مُعلِّماً لنبينا الكريم في﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى ﴾ سورة النجم: الآيتان ٥-٦، وهو مخالف لما ورد في روايات أهل البيت : أنّ النبيّ الأكرم هو معلّم الملائكة. [٢٣]

فإن نحن رجعنا إلى كلمات من نزل الكتاب في بيوتهم ، فكانوا أدلّة للناس على معانيه ، نجد بيانهم في تفسير (الداني والمتدلي) ، ينفي شبهة التجسيم ، ويحفظ للنص القرآني ترتيب نظمه ، فالذي (دنا وتدلى) هو النبي الأكرم وأن الفعلين(دنا، وتدلى) غير مترابطين نحو جهة واحدة، بل هما فعلان منفصلان، للتعاقب المفهوم من حرف الفاء ، ففعل الدنو من النبي الأكرم نحو ملكوت السموات في أثناء الإسراء به ، وفعل التدلي ، كانا من النبي لما نظر من تحته إلى ملكوت الأرض، وأنّ ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى ﴾ ، هو الله تعالى علّم نبيَّه الأكرم شيئاً من عجائب ملكوته واختصّه بهذا التعليم دون الخلق كلّهم ، وهذا المعنى مروي عن الإمام السجاد(عليه السلام)، فـ((عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان ؟ فقال: تعالى الله عن ذلك. قلت: فلِمَ أسرى بنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) إلى السماء ؟ قال: ليريه ملكوت السماء وما فيها من عجائب صنعه ، وبدائع خلقه. قلت: فقول الله عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ قال: ذاك رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) دنا من حجب النور، فرأى ملكوت السماوات ، ثم تدلى (صلّى الله عليه وآله) فنظر من تحته إلى ملكوت الارض، حتى ظن أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى)) .[٢٤] فالمفهوم من هذه الرواية التي تفسِّر النص القرآني، أن النبي الأكرم وصل إلى مستويات في الصعود هائلة إلى حجب النور الإلهي، وفي الوقت نفسه تدلى نحو الأرض فإذا هو قريب جداً منها، ومثل هذا الفهم للآية القرآنية لا يصدر إلا من أهل التأويل، وحملةِ الوحي .

النموذج الثالث: في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى ﴾. [٢٥] أشار الكرماني إلى أنّ(ثُمّ) في الآية استعملت بمعنى الواو، لعطفها سابق على لاحق، قال: إنّ (((ثُمَّ) قد تأتي مع الجملة دالةً على التقدم، كقوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾، والاهتداء سابق)).[٢٦] واستدلّ على هذا المعنى لـ (ثُمّ) بمناظرة الآية المذكورة بقوله تعالى: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* وَما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ* فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ* يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ* أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ*ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ .[٢٧] ذلك أنّ الإيمان سابق على فك الرقبة وإطعام اليتيم أو المسكين، واستدلّ أيضاً بقول أبي نواس:

قُلْ لِمَن سادَ ثمَّ سادَ أبوهُ ثم قد سادَ قبلَ ذلك جدُّهْ

---

[٢٣] – ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٧/ ٢١٤.

[٢٤]– بحار الأنوار ٣/ ٣١٤ ، وينظر: نور الثقلين ٢/ ٣٢١.

[٢٥] – سورة طه : الآية ٨٢.

[٢٦] – غرائب التفسير ١/ ٢٦٠.

[٢٧] – سورة البلد: الآيات ١١. ١٧.

وأغلب المفسرين على أنّ (ثُمّ) في الآية على معناها في الترتيب ، غير أنّهم اختلفوا فيه فقال أكثرُهم بالترتيب الذي يستدعي التراخي في الزمن ، وذهب بعضهم إلى الترتيب في الإخبار ، أو الترتيب المفضي إلى التفاوت في الرتبة ، وإنّما نشأ هذا الاختلاف في بيان معنى الترتيب، تبعاً لاختلافهم في تفسير معنى (ثُمّ اهتدى) الوارد فيها ، ويمكن تفصيل ذلك بالآتي:

١ـ إنّ (ثم) على معناها في الترتيب والتراخي الزمني، وإليه ذهب أكثر المفسرين ، وبيّنوا أنَّ الاهتداء هنا له معانٍ متعددة هي:((عرف أنّ لعمله ثواباً يُجازى به)).[٢٨]،((ثم مضى على العمل الصالح حتى يموت))[٢٩]، واستدلّ له الشاطبي بقوله: بقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٣٠]، إذ طلبوا التثبيت على الهدى.[٣١] ((أخذ بسُنَّة نبيّه صلّى الله عليه وآله)). [٣٢] ذكر الطبري أنّ المقصود به: اهتدى ((إلى ولاية أهل بيت النبي صلّى الله عليه وسلّم)).[٣٣] بناءً على ما سُمِع في رواية ثابت البناني[٣٤]، قال الماوردي:(((ثم اهتدى) في ولاية أهل بيت النبي(صلّى الله عليه وسلّم)، قاله ثابت)).[٣٥] ونقل هذا المعنى الشيخ الطوسي، والسمعاني ، والطبرسي ، وابن عطية، وابن الجوزي ، والعز بن عبد السلام، والقرطبي، والفيض الكاشاني، وعبد علي بن جمعة الحويزي، والسيد محمد حسين الطباطبائي، والشيخ مكارم الشيرازي.[٣٦] واعترض عليه الآلوسي بأنَّ الخطاب لقوم موسى(عليه السلام) قال: ((وأنتَ تعلمُ أنّ ولايتَهم وحبَّهم (رضي الله تعالى عنهم) ممّا لا كلام عندنا في وجوبه، لكنّ حمل الاهتداءِ في الآية على ذلك مع كونها حكايةً لما خاطب الله تعالى به بني إسرائيل في زمان موسى (عليه السلام)، ممّا يستدعي القول بأنّه (عزّ وجلّ) أعلمَ بني إسرائيل بأهلِ البيت وأوجبَ عليهم ولايتَهم إذ ذاك، ولم يثبت ذلك في صحيح الأخبار)). [٣٧]

---

[٢٨]– تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٦٣، وينظر : إعراب القرآن، للنحاس ٣/ ٣٧، والكشف والبيان ٦/ ٢٥٦، والهداية إلى بلوغ النهاية ٧/ ٤٦٧٩، والنكت والعيون ٣/ ٤١٧.

[٢٩]– تفسير يحيى بن سلّام ١/ ٢٧١.

[٣٠] – سورة الفاتحة: ٦.

[٣١] – المقاصد الشافية ٨٨/٥.

[٣٢]– جامع البيان ١٨/ ٣٤٨، وينظر: بحر العلوم ٢/ ٤٧، والكشف والبيان ٦/ ٢٥٦.

[٣٣] – جامع البيان ١٨/ ٣٤٨.

[٣٤] – هو ثابت بن أسلم البناني البصري ، من الطبقة الرابعة من طبقات رواة الحديث ، ثقة عابد، ولد في زمن خلافة معاوية ، ومات في سنة مئة وسبع وعشرين ، ينظر: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ١/ ٢٩٦.

[٣٥] – النكت والعيون ٣/ ٤١٧.

[٣٦] – ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٧/ ١٩٢، وتفسير السمعاني ٣/ ٣٤٦، و مجمع البيان ٧/ ٣٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٧، وزاد المسير ٣/ ١٧٠، وتفسير العز بن عبد السلام ٢/ ٣٠٧، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٣١، وتفسير الصافي ٤/ ٣٢٦، و نور الثقلين ٥/ ٣٢٧، والميزان ٧/ ٣٨، والأمثل ١٠/ ٤٩.

[٣٧] – روح المعاني ٨/ ٥٥١.

٢ـ إنّ (ثم) على بابها، وإنّ الترتيب بها بين الأخبار، لا بحسب زمن الوقوع ، وإليه مال ابن كثير، قال: (((ثُمَّ) هَاهُنَا لِتَرْتِيبِ الْخَبَرِ عَلَى الْخَبَرِ)) .[٣٨]

٣ـ إنّ (ثم) استعملت للتفاوت في الرتبة، وإليه ذهب الزمخشري، ((وكلمةُ التراخي دلّت على تباين المنزلتين، دلالتها على تباين الوقتين، في : (جاءني زيد ثم عمرو)، أعني: أنّ منزلة الاستقامة على الخير مباينةٌ لمنزلة الخير نفسه؛ لأنّها أعلى منها وأفضل)). [٣٩]

وممّا تقدّم ، يمكن أن يتضح :

١ـ إنّ ما استدلّ به القائلون بالنيابة يمكن ردُّه ، ذلك أنّ مناظرة الآية المذكورة بآية أخرى مع اختلاف سياق الآيتين، ولاسيما مع اختلاف المعطوفين بـ (ثم)، بين ثُمَّ اهْتَدَى ، و ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ، واختلاف المخاطبين، فآية ثُمَّ اهْتَدَى في خطاب أهل الشرك، وآية ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا في خطاب أهل الإيمان لحثِّهم على مراتب في التكامل. أمّا البيت الشعري الذي استدلوا به ، فهو بيت مولد غير موثوق، لا يصحُّ مناظرة معنى الآية بمعناه .

٢ـ إنّ ترتيب الأخبار هنا غير ظاهر، إذ يستدعي أن يكون المعنى: أني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ،ثم أُخبرُكم أنّه اهتدى قبل ذلك، وهو معنًى غير مسوّغ مع أفعالٍ مأمورٍ بها مرتَّبةٍ بعضها على بعض؛ للغرض الذي قُدِّم له في أول الكلام، وهو المغفرة العظيمة .

٣ـ إنّ التفاوت في الرتبة الذي يقتضي أنَّ ما بعد (ثم) مفضّل على ما قبلها، غيرُ ظاهر أيضاً ، ذلك أنّها مراتبُ في الاعتقاد والعمل يتسبَّب بعضُها على بعض، لتصل إلى الغرض المقصود من دون تفضيل.

٤ـ إنّ الراجح من الأقوال المذكورة في الآية أنّ (ثم) على معناها في الترتيب والتراخي الزمني، وإنّ معنى (ثم اهتدى): اهتدى إلى ولاية آل البيت (صلوات الله عليهم)؛ لاستفاضة الأخبار الواردة عنهم المُصرّحة بهذا المعنى [٤٠]، ممّا استدعى نقلَ هذه الروايات في تفاسير أهل العامة كما مرّ ذكره ، ولا يُلتفَت إلى تشكيك الآلوسي في انطباق هذا المعنى على ولاية أهل البيت (عليهم السلام)، بحجة أنّ الخطاب لقوم موسى (عليهم السلام)، ممّا يقتضي أنّ الله سبحانه أعلمَ بني إسرائيل في ذلك الوقت بولاية أهل البيت وأوجبَها عليهم، ولم يثبت ذلك في الأخبار .

ويكفي في ردِّه ما ذكره الشيخ مكارم الشيرازي ، إذ قال: ((ليس المرادُ منه انحصارُ الولاية بأهل البيت (عليهم السلام)، بل في عصر موسى كان هو وأخوه قائدَينِ، فكان يلزَمُ قبولُ ولايتهما. أمّا في عصر النّبي فتلزم قبول ولايته، وفي عصر أئمّة أهل البيت يلزمُ قبولُ ولايتِهم (عليهم السلام). ويتّضح أيضاً أنّ المخاطب في هذه الآية وإن كانوا بني إسرائيل، إلّا أنّه لا ينحصرُ فيهم ولا

---

[٣٨] – تفسير ابن كثير ٥/ ٢٧٢.

[٣٩] – الكشاف ٣/٨٠.

[٤٠] – ينظر: الكافي ١/ ٣٩٢، وتفسير القمي ٢/ ٦١، وبحار الأنوار ٢٤/ ١٤٨و٢٧/ ١٧٤، ١٩٧، ونور الثقلين٢/ ٣٢٧ و ٥/ ٤١٧.

يختصُّ بهم، فإنّ كلَّ فردٍ أو جماعةٍ تطوي هذه المراحل الأربعة، فستشملها مغفرة الله سبحانه وعفوه)) [٤١] ، ويتضح منه أنّ التوبة والإيمان والعمل الصالح مع صحّة العقيدة، سيتسببان بطول المداومة عليهما في الاهتداء إلى القادة الربانيين ، الذين سيكون العمل في ظلّ هدايتهم مدعاةً لكثرة المغفرة المستوجبة من لدنه سبحانه، لعلمه بمشقّة هذه التكاليف. ثم إنّ قصدية هذا التعبير القرآني تُفصح عن معنًى آخر، صرّح به آل البيت (عليهم السلام)، هو أنّ عدم الاهتداء إلى ولايتهم لا ينفع معه الإتيان بالأفعال المتقدمة، من توبةٍ، وإيمانٍ، وعملٍ صالحٍ، ولا يترتب عليها أثرٌ، إذ ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في بيان معنى الآية الكريمة : ((واللهِ لو أنّه تابَ وآمنَ وعملَ صالحاً، ولم يهتدِ إلى ولايتنا ومودتِنا ويعرف فضلَنا، ما أغنى عنه ذلك شيئاً)). [٤٢] ومعه يُستفاد أنّ دلالة (ثم) على الترتيب بين مجموع الأفعال المذكورة قبلها والاهتداء إلى ولايتهم أمرٌ ظاهرٌ ، وأنّ التراخي الزمني بها ممّا يستدعيه المقام ؛ للوصول إلى ذلك المبتغى الذي غاب عن كثيرين، ومنهم الآلوسي .

النموذج الرابع : في قوله تعالى في خطاب النبي هود (عليه السلام) لقومه: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾. [٤٣] نسب الواحدي إلى الفرّاء أنّ الواو نابت عن(ثم) ، قال: ((وحُكي عن الفرّاء أنّه قال:(ثم) ها هنا بمعنى الواو ، ومعناه وتوبوا إليه)).[٤٤] وتابعه في ذلك البغوي مبيّناً سبب القبول بهذه النيابة قال:((قال الفرّاء(ثم) هنا بمعنى الواو، أي: وتوبوا إليه؛ لأنّ الاستغفار هو التوبة، والتوبة هي الاستغفار)). [٤٥]

ويُفهَم منه أنّ الدليل للنيابة هنا أنّ الاستغفار والتوبة بمعنًى واحد فلا حاجة إلى ترتيب أو تراخٍ ، بل إنّ المناسب هنا الجمع بين أمرين متفقين ، والأداة المناسبة للعطف بينهما هي (الواو) لا (ثم).

ونسب أبو هلال العسكري القول بالنيابة هنا إلى الأخفش، مبيّناً أنّ لفظي (الاستغفار، والتوبة) إنّما كررا مع أنّ معنيهما واحد، لغرض التوكيد.[٤٦] ولم أجد الأخفش قال بذلك في معانيه أيضاً.

وممّا ذُكر من أوجه محتملة في معنى العطف بـ (ثُمّ) في الآية:

١ـ إنّ الخطاب لمّا كان من هود (عليه السلام) لقومه المشركين ، كان الاستغفار هنا بمعنى ترك الشرك أولاً ثم الرجوع إلى التوحيد والعمل بطاعة الله ، وإليه ذهب الطبري . [٤٧]

---

[٤١] – الأمثل ١٠/ ٤٩ـ ٥٠.

[٤٢]– بحار الأنوار ٢٧/ ١٩٧.

[٤٣] – سورة هود : من الآية ٣.

[٤٤]– التفسير البسيط ١١/ ٣٤٥.

[٤٥] – معالم التنزيل ٢/ ٤٣٨.

[٤٦] – ينظر: الوجوه والنظائر ٥٧.

وقال الماتريدي : ((أي: أسلموا ثم توبوا إليه ، أي : ارجعوا إليه عن كلِّ معصية)).[٤٨] وقال ابن عطية :((ومعنى الآية: □ استغفروا ربكم□ ، أي: اطلبوا مغفرته لكم، وذلك بطلبِ دخولِكم في الإسلام، ثم توبوا من الكفر، أي: انسلخوا منه، واندموا على سالفه. و(ثُمَّ) مُرتِّبةٌ؛ لأنّ الكافر أوّلُ ما ينيب فإنّه في طلب مغفرة ربِّه، فإذا تاب وتجرّد من الكفر، تمَّ إيمانُه)). [٤٩] وأيّدهم في ذلك ابن الجوزي ، والبيضاوي ، والطيبي ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي ، وابن عجيبة الأنجري ، وأبو زهرة [٥٠] ، واستظهر السيد محمد حسين الطباطبائي أنّ معنى الاستغفار هنا: ترك عبادة الأصنام، وطلب الغفران، وأنّ معنى التوبة: الإيمان، وبه ((يستقيم الجمعُ بين الاستغفارِ والتوبةِ، مع عطفِ التوبة عليه بـ (ثم))). [٥١]

٢ـ احتمل المفسرون أيضاً معنًى زائداً على ما قيل من أنّ الآية في خطاب المشركين، بأنّ خطابها عام ، وأنّ (ثم) عطفت بين الاستغفار والتوبة ، على معنى ((استغفروا ممّا مضى، وتوبوا ممّا تواقعون في المستقبل)) [٥٢]، أي : ((استغفروه من سالف ذنوبكم، ثم توبوا إليه من المُستَأنَفِ، متى وقعت منكم)). [٥٣]

٣ـ إنّ العطف بـ (ثم) هنا ورد بين السبب والمُسبَّب عنه، ولكنّ العناية في الكلام اقتضت هذا الترتيب في النص القرآني، فالتوبة هي السبب، والاستغفار مسبَّبٌ عنها، قال الماوردي : ((إنّه قدّم ذكرَ الاستغفارِ؛ لأنّ المغفرة هي الغرضُ المطلوبُ والتوبة هي السببُ إليها ، فالمغفرةُ أولٌ في الطلب وآخِرٌ في السبب)).[٥٤] وأيّده في ذلك الشيخ الطوسي، والطبرسي. [٥٥]

٤ـ احتمل الماوردي أن الاستغفار من الصغائر، والتوبة من الكبائر، فعطفت (ثم) بين متغايرين. [٥٦]

٥ـ ذهب الرازي إلى أنّ (ثم) عطفت بين مرتبتين متغايرتين، ذلك أنّ الاستغفار هو الطلب من الله ؛ لإزالة ما لا ينبغي، والتوبة هي سعي الإنسان وأعماله التي يزيل بها ما لا ينبغي، فكان الطلب بالاستعانة مقدّماً على سعي النفس، متراخياً عنه في المقام.[٥٧] واستدلّ أبو زهرة له بأنّ

---

[٤٧] – ينظر: جامع البيان ١٥/ ٢٢٩.

[٤٨] – تأويلات أهل السنة ٦/ ٩٥.

[٤٩] – المحرر الوجيز ٣/ ١٤٩.

[٥٠] – ينظر: زاد المسير ٢/ ٣٥٧، وأنوار التنزيل ٣/ ١٢٧، وفتوح الغيب ٨/ ١١، والبحر المحيط ٦/ ١٢٠، والدر المصون ٢٨٢/٦، والبحر المديد ٢/ ٥٠٨، وزهرة التفاسير ٧/ ٣٧٢٣.

[٥١] – الميزان ١٠/ ٧٣.

[٥٢]– الوجوه والنظائر ٥٧.

[٥٣] – النكت والعيون ٢/ ٤٥٦.

[٥٤] – المصدر نفسه ٢/ ٤٥٦.

[٥٥] – ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٥/ ٤٤٠، ومجمع البيان ٥/ ٢١٤.

[٥٦]– ينظر : النكت والعيون ٢/ ٤٥٦.

[٥٧] – ينظر : مفاتيح الغيب ١٧/ ٣١٥.

هذين المعطوفين بينهما انتقالُ حالٍ بعد حالٍ، أي : ارجعوا إليه بعد أن بَعُدْتُم عنه، قال : ((عبّر بكلمة (ثُمَّ)؛ للدلالة على بُعْدِ حالهم في الانتقال من الاستغفار إلى الرجوع إلى الله تعالى؛ لأنّ الاستغفار طلبُ محوِ الذنوب أو سترِها، وتلك أوّلُ خطوةٍ في تركِ الكفر والشرك، وتعلوها مرتبةُ الاتصالِ بالله لقبول التوبة)). [٥٨]

٧ـ استعان الآلوسي بالمعنى الأصلي لكلا المعطوفين؛ لإثبات عدم اتحادهما في المعنى، مع تلازمهما وترتُّب أحدهما على الآخر شرعاً، قال:((أصلُ معنى الاستغفارُ طَلَبُ الغَفْرِ، أي: السَّتر، ومعنى التوبة الرجوع، ويُطلَقُ الأولُ على طلبِ سترِ الذنب من الله تعالى والعفوِ عنه، والثاني على الندمِ عليه مع العزمِ على عدم العود، فلا اتحادَ بينهما، بل ولا تلازمَ عقلاً، لكن اشتُرط شرعاً لصحة ذلك الطلبِ وقبولِه، الندمُ على الذنب، مع العزم على عدم العود إليه)). [٥٩]

٨ـ فارق الزمخشري ما قاله سلفُه من المفسرين من الترتيب والتراخي الزمني بـ(ثم) في الآية ، وذهب إلى أنّ معنى الاستغفار ومعنى التوبة، وإن اشتركا في المعنى العام إلّا أن بينهما فرقاً، ذلك أنّ المراد في التوبة المعطوفة بـ (ثم) تمامُها واستدامتُها قال: ((فإن قلتَ: ما معنى(ثم) في قوله: □ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ□؟ قلتُ: معناه : استغفروا من الشرك، ثم ارجعوا إليه بالطاعة. أو: استغفروا، والاستغفارُ توبةٌ، ثم أخلِصوا التوبةَ واستقيموا عليها، كقوله: □ ثُمَّ اسْتَقَامُوا□...)). [٦٠]

وبالعودة إلى ما ذكره في الآية التي استشهد بها دليلاً لإثبات ما أراد، وهي قوله تعالى : □ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ□ [٦١] ، يتبيّن أنه يستدلُّ بالآيتين على أنّ التراخي الزمني بـ (ثم) قد فارقهما مجازاً، إلى معنى التباين بين منزلتي المعطوفين لصالح الثاني منهما، قال : (((ثُمَّ) لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة. وفضلها عليه؛ لأنّ الاستقامةَ لها الشأنُ كلُّه)). [٦٢] وبيّن معنى التراخي الرتبي هذا في موضع آخر، فقال : ((وكلمةُ التراخي دلّتْ على تباين المنزلتين، دلالتها على تباين الوقتين، في: (جاءني زيدٌ ثم عمرٌو))). [٦٣]

وممّا تقدم يتضح أنّ الزمخشري نقل عطف التوبة بـ (ثم) في الآية محلّ البحث من تراخي زمن وقوع الفعل، إلى معنًى مستعارٍ، مفادُه عنده: دوامُ حدوثِ الفعل واستدامته، مع تمام شأنه، ولا شكَّ في أنّ هذا المصداق من دوام التوبة أعلى من الاستغفار الذي هو بمعنى التوبة غير

---

[٥٨] – زهرة التفاسير ٧/ ٣٧٢٣.

[٥٩]– روح المعاني ٦/ ١٩٤.

[٦٠]–. الكشاف ٢/ ٣٧٨.

[٦١] – سورة فصلت : الآية ٣٠.

[٦٢] – الكشاف ٤/ ١٩٨.

[٦٣] – المصدر نفسه ٣/ ٨٠.

المستديمة عنده. وتابعه في ذلك القرطبي، والبيضاوي، والطيبي، وأبو حيان، وناظر الجيش، والشوكاني، والطاهر بن عاشور.[٦٤]

وعبّر الرضي عن معنى التراخي الرُتبي بـ(ثم) في الآية ، مع المحافظة على المعنى الحقيقي للمعطوفين، واستبعاد المعنى المجازي بقوله : (ثم) هنا ((لاستبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها ، وعدم مناسبته له، كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾، فالإشراكُ بخالق السموات والأرض مُستَبعَدٌ ، غيرُ مناسبٍ، وهذا المعنى : فرعُ التراخي ومجازُه، وكذا في قوله تعالى: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ ، ثم قال: ﴿ ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، فإنّ الإيمان بعيدُ المنزلة من فكِّ الرقبةِ ، والإطعامِ ، بل لا نسبةَ بينه وبينهما ، وكذا قولُه ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾، فإنّ بين توبةِ العبد، وهي انقطاعُ العبد إليه بالكُليّة وبين طلبِ المغفرة بوناً بعيداً)).[٦٥]

ويتضح أن القول بالنيابة هنا لا يثبت، ولاسيما أن نسبته إلى الفرّاء أو الأخفش هي محلُّ نظرٍ أيضاً، على أنّ لنا أن تفاتشَ ما ذُكِرَ في أدلّة الفريقين، على النحو الآتي :

١ـ إنّ القول بأنّ الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار - كما صرّح به القائلون بالنيابة، وكذلك الزمخشري عند حمله العطف على تباين المنزلتين في التوبة - لا يمكن إثباتُه في اللغة، أو في الشرع، أو في التعبير القرآني، وقد صرّح الآلوسي بعدم اتحاد الاستغفار والتوبة في المعنى، وفي الشريعة، أمّا في التعبير القرآني فقد وردا معاً في نصوص قرآنية كثيرة [٦٦]، يترتّبُ على القول بترادف معنييهما فيها تكرارُ اللفظ مرتين في التوكيد ، وإطلاقُ القول بذلك يحتاجُ إلى سندٍ شرعي من حديث شريف، أو رواية عن راسخٍ في العلم ، ولمّا لم يرد بذلك نصٌ صريحٌ ، كان القول بترادفهما يستند إلى العرف فحسب .

٢ـ إنّ القول بأنّ في الآية تقديماً وتأخيراً، فالتوبة مُقدَّمَة على الاستغفار، كما ورد في أدلّة الفريق الأول، أو أنّ التوبة سبب للاستغفار وقد قُدِمَ عليها للعناية، كما ثبت في أدلّة الفريق الآخر ، يستوجبُ إعمامُ هذا الحكم على الاستعمالات القرآنية التي ورد فيها هذان اللفظان مرتبين وتأويل ذلك على التقديم والتأخير فيهما ، مع أنّ الثابت أنّ تقديم الاستغفار على التوبة هو الأعمُّ الأغلبُ في الاستعمال القرآني [٦٧] ، أمّا القائلون بأنَّ التوبة سبب للاستغفار، وأنه متسبَّب عنها ، وقد قُدِّم عليها في الآية الكريمة للعناية ، فيبدو لي أنّهم لم يُفرّقوا بين المغفرة المتسبّبة عن التوبة ، كما في قوله تعالى:﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى ﴾ ، والاستغفار الذي هو طلبُ غفرانِ الذنب وستره وهو باب الولوج إلى التوبة، ثم إنّ التعبير القرآني في مواضع متعددة منه، يكشف عن أنّ الاستغفار هو سبب التوبة لا متَسبب عنها كما قالوا ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَما

---

[٦٤]– ينظر: الجامع لأحكام القرآن٩/ ٣، وأنوار التنزيل ٣/ ١٢٧، وفتوح الغيب ٨/ ١١، والبحر المحيط ٦/ ١٢٠، وتمهيد القواعد ٧/ ٣٤٤٤، وفتح القدير ٢/ ٥٤٦، والتحرير والتنوير ١١/ ٣١٧.

[٦٥] – شرح الرضي على الكافية ١/ ١٨٣٤.

[٦٦] – ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (تاب) ١٩٩ـ ٢٠٠، (غفر)٦٣٥ـ ٦٣٦.

[٦٧] – ينظر: المعجم المفهرس (غفر) ٦٣٥.

أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً [٦٨] ، وقوله عزَّ وجل : فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً . [٦٩]

٣ـ إنّ تفسير الاستغفار هنا بمعنى ترك الشرك، والتوبة بمعنى الرجوع إلى التوحيد والعمل بطاعة الله، استناداً إلى أنَّ الخطاب لقوم مشركين، يتعارض مع قاعدة الجري في الخطابات القرآنية ، وهي قاعدة معتبرة في التفسير، مفادها أنّ ((ما وردَ من شأنِ النزول، وهو الأمر، أو الحادثة التي تعقب نزول آيةٍ أو آياتٍ في شخصٍ أو واقعةٍ، لا يُوجِبُ قصرَ الحكمِ على الواقعة؛ لينقضيَ الحكمُ بانقضائها ويموت بموتها ؛ لأنّ البيانَ عامٌّ، والتعليل مطلقٌ))[٧٠] ، ومصطلح الجري ومفهومه مأخوذ عن أئمة آل البيت(عليهم السلام) ، إذ ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) : ((لو كانت إذا نزلتْ آيةٌ على رجلٍ ثم ماتَ ذلك الرجلُ ماتتِ الآيةُ، ماتَ الكتابُ والسنّةُ، ولكنّه حيٌّ يجري في مَنْ بقيَ، كما جرى في مَنْ مضى)). [٧١] ومع الإيمان بما تقدّم، يتضح أنّ القائلون بأنّ خطاب الآية خطاب عام، قد أحسنوا الرأي .

والظاهر من التعبير القرآني أنّ العطف إنّما هو بين(الاستغفار) بمعنى طلبِ غفران كلِّ ما يُوجب الابتعادَ عنه سبحانه وتعالى، والجدِّ والاجتهادِ في السعي لحصول ذلك و(التوبة إلى الله)، وهي مرتبة سامية لا تتعلّق بستر الذنب المتقدِّم وغفرانه، بل إنّ لها تعلّقاً بمقامات عالية من الرضا الإلهي والعقائد الكليّة، يشهد لذلك التفريقُ بين استعمال(التوبة) و(التوبة إلى الله) في التعبير القرآني، ففي التوبة يقول تعالى: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا [٧٢] ، و: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [٧٣]، و: وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . [٧٤]

أمّا في(التوبة إلى الله)، فترد النصوص القرآنية الآتية في خطاب النبي موسى(عليه السلام) مع ربّه (سبحانه وتعالى) : فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ [٧٥] ، وفي خطاب موسى(عليه السلام) قومه لتقويم اعتقاداتهم، ورد قوله تعالى: وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

---

[٦٨] – سورة النساء : الآية ٦٤.

[٦٩] – سورة النصر: الآية ٣.

[٧٠] – الميزان ١/ ٢١.

[٧١] – بحار الأنوار ٢/ ٢٧٩.

[٧٢] – سورة النساء : الآية ١٧.

[٧٣] – سورة التوبة : الآية ١٠٤.

[٧٤]– سورة الشورى : الآية ٢٥.

[٧٥]– سورة الاعراف : من الآية ١٤٣.

.[٧٦] وفي الوصايا الأخلاقية الإلهية للإنسان، ورد قوله(عزَّ وجلّ) : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلى والِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٧٧] ، وفي الخطاب العام منه سبحانه للمؤمنين يقول: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾. [٧٨]

ومن كلِّ ما تقدّم، يتضح أنّ استعمال(ثم) للعطف في الآية الكريمة استعمالٌ مقصودٌ ، غرضه بيان ترتُّب التوبة على الاستغفار وتراخيها عنه في الزمن، وهو كاشف عن منهج متدرج، يبدأ فيه الفرد بخطوته الأولى وهي الاستغفار من كلِّ ما يُوجب الابتعاد عن ساحة قُربِهِ تعالى والتدرُّج في تطهير النفس وتخليتها من أدران الهوى، ثم العودة إلى الله بالتوبة عن البعد والانقطاع إلى كلِّ ما يُوجب قُرْبَه ورِضاه، وفي ذلك يقول الشيخ مكارم الشيرازي: ((والواقعُ أنّ الاستغفارَ تَوقُّفٌ في مَسيرِ الذنبِ، وغسلُ النفس، والتوبةَ عودةٌ إلى الله الكمالِ المطلقِ)). [٧٩]

النموذج الخامس: في قوله تعالى: ﴿ وَكَذلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً[٨٠] ﴾. أورد يحيى بن سلّام أنّ معنى الآية:((لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَيُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً، يَعْنِي: الْقُرُونَ الأُولَى، وَالأَلِفُ هَاهُنَا صِلَةٌ))[٨١]، ويتضح منه أنّه أناب(الواو) عن(أو) في الآية الكريمة؛ ليجمع بين(تقواهم، وإحداث الذكر لهم)، إذ هما يعودان إلى معنًى جامعٍ، هو الاعتبار الذي يُفضي إلى تحقيق الغرض من الوعيد الذي سعى النص القرآني لإقراره. ويعضد معنى الجمع بالواو عندهم، ما في قوله تعالى في قصة فرعون : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[٨٢] ، فالتذكر والخشية مجموعان لمعنى التوبة والإنابة عن الطغيان. وأغرب الماتريدي فأناب عن (أو) في الآية(ثُمّ) قال:((وإن كان ألزمهم أن يتقوا فهو على أو ثُمَّ)). [٨٣] وإنّما قال بإلزام الله إيّاهم التقوى بقرينة(لعلّ) التي قرّر أنها تفيد عند استعمالها على لسان الله الوجوب، قال: ((لعلَّهم يتقون، أي: ألزمَهم أن يتقوا بما صرَّف من الوعيد)) [٨٤]، فالمعنى عنده: إنَّ الله ألزمهم التقوى بالوعيد، ثم أحدث لهم ذكراً، ذلك الوعيد الذي نُقل عن بعضهم أنّ المقصود به العذاب. [٨٥]

---

٧٦ – سورة البقرة : الآية ٥٤.

٧٧ – سورة الاحقاف : الآية ١٥.

٧٨ – سورة النور : من الآية ٣١.

٧٩ – الأمثل ٧/ ٤١.

٨٠ – سورة طه : الآية ١١٣.

٨١– تفسير يحيى ابن سلّام ٢٨٢/١.

٨٢ – سورة طه: من الآية ٤٤.

٨٣ – تأويلات أهل السنة ٣١٤/٧.

٨٤– المصدر نفسه ٣١٤/٧.

٨٥– ينظر : المصدر نفسه ٣١٤/٧.

ولم يرتضِ فريقٌ من المفسرين هذا التفسير لمعنى(أو) في الآية ، فأثبتوا لها معناها في التنويع والتفصيل، بين اتقائهم المعاصي، أو تحقُّق الطاعة والعبادة منهم، صارفين معنى (يتقون) إلى معنى الاتقاء، ومعنى (ذكراً) إلى الطاعة والعبادة ، فيكون تصريف أنواع الوعيد محقِّقاً لواحد من هذين الغرضين وممّن ذهب إلى ذلك - وإن لم يُصرِّح به - الزمخشري ، قال:((أنزلنا القرآنَ كلَّه على هذه الوتيرة، مكرّرين فيه آيات الوعيد؛ ليكونوا بحيث يُراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير والطاعة. والذكر- كما ذكرنا- يطلق على الطاعة والعبادة)) . [٨٦]

واستدلّ الطيبي على أنّ الذكرَ يأتي بمعنى الطاعة والعبادة مجازاً بقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[٨٧]، ((أي: لتذكرني، فإن ذِكري أنْ أُعبَدَ، والذِّكرُ يُطلقُ على العبادة والطاعة، أي: مجازاً؛ لأنّ الطاعة: أثرُ الذكر والتذكير. ومرادُه من هذا التأويل اعتبارُ المطابقة لتفسيره التقوى بالاجتناب عن المعاصي؛ ليجمعَ بين فعل الطاعة وترك المعصية، وفيه إيذانٌ بأنّ التقوى قد يُراد منه الاحترازُ عمّا لا ينبغي))[٨٨]، وانتفع ابن عطية من تأويل المفسرين للذكر الوارد في الآية بالشرف[٨٩] ؛ ليصرف معنى(أو) من التنويع إلى معنى الإباحة بين أمرين جائزين إفراداً أو مجموعاً، قال:((وأَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وتوعدنا فيه بأنواع من الوعيد، لَعَلَّهُمْ بحسب توقّع البشر وترجيهم يَتَّقُونَ الله ويخشون عقابه فيؤمنون ويتذكرون نعمه عندهم وما حذرهم من أليم عقابه، هذا تأويل فرقةٌ في قوله: ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ وقالت فرقةٌ: معناه أو يُكسبهم شرفاً، ويُبقي عليهم إيمانَهم ذكراً صالحاً في الغابرين)).[٩٠]وأيّده فيه الرازي .[٩١]

والبحث يركن إلى قصدية(أو) في التعبير القرآني لنصِّ الآية ، وترجيح معنى التنويع والتفصيل على معنى الإباحة الذي ذكره بعض المفسرين. ومخالفة وجهة نظرهم في صرف معنى التنويع إلى المخاطبين، وتقسيمهم بحسب انتفاعهم من الوعيد إلى: صنف يتقون المعاصي، أو صنف أعلى يتحلون بأنواع الطاعات والعبادات المُقرّبة من رضاه سبحانه، فالظاهر أنّ الآية ناظرة إلى تقسيم أنواع الوعيد إلى صنفين: صنفٌ يوجب التقوى بوصفها أعلى درجات العبادة ، ومن مصاديق هذا الصنف من الوعيد وعيد الدنيا، كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ [٩٢]. ووعيد الاعتبار بقصص الأمم التي خلت ، كقوله تعالى: ﴿ وكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾.[٩٣] ووعيد يوم القيامة وتجسيد حال الأفراد في مشهده ، كقوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [٩٤] ، إلى آخر المشهد المرعب

---

[٨٦]- الكشاف ٨٩/٣.

[٨٧]- سورة طه : من الآية ١٤.

[٨٨]- فتوح الغيب ٢٤٨/١٠- ٢٤٩.

[٨٩] – ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٧٩/٣، والنكت والعيون ٤٢٨/٣.

[٩٠] – المحرر الوجيز ٦٥/٤.

[٩١]- مفاتيح الغيب ١٠٣/٢٢- ١٠٤.

[٩٢] – سورة طه: من الآية ١٢٤.

[٩٣]- سورة الأنبياء : الآية١١.

[٩٤]- سورة ق: الآية ٢٠.

الذي ترسمه آيات سورة(ق). والصنف الآخر من الوعيد المُعبَّر عنه بقوله تعالى: ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ يشتمل على وعيد حوادث آخر الزمان، بحسب ما ورد عن آل بيت العترة الطاهرة ، وقد ذكروا من مصاديقه في تفسير هذه الآية الكريمة:(القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه، والسفياني لعنة الله عليه)، فقد نقل القمّي في تفسير قوله تعالى: (أو يُحدِث لهم ذكراً):((يعني ما يحدث من أمر القائم (عليه السلام) والسفياني)).[٩٥]

ولا شكَّ في أنّ مَن يسمع بهذه الأخبار ويؤمن بها ، يحدث له عظةٌ واعتبارٌ يوجبان أن تصير التقوى ملكة راسخة، مستندة إلى الطاعة والتسليم بما أخبر الله به وما أوّله العالمون بمراده سبحانه ، وهم رسول الله وعترته الطاهرون، وممّا يعضد ذلك ما استنبطه المفسرون، من أنّ التقوى أُسندت إلى المخاطبَين أنفُسهم، إذ لعله بالوعيد يصل الإنسان إلى مراتب التقوى [٩٦]، أمّا التحديث بالذكر فلازِمُه القرآن والعالمون بتأويله، ذلك أنّ هذا النوع من الوعيد لم يطّلع عليه إلّا الله والراسخون في العلم.

أمّا دعوى نيابة(الواو) عن(أو) في الآية ، بحجة الجمع بين الانتفاع من الوعيد ومنافاة ذلك لــ (أو) التي تفيد التفريق، وتنظير ذلك بقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، فحجةُ مَن قال بذلك واهيةٌ، تضيعُ معها المعاني المقصودة ويُنقَض دليلُها بأيسر حلٍّ، ذلك أنّ الفارقَ في السياق بين الآيتين حاضرٌ، والبونَ بين مناسبة القول في الآيتين شاسعٌ، فخطابُ الآية المدروسة خطابٌ عامٌّ للمكلَّفين في زمن نزول الآية الكريمة، أمّا خطاب آية ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ فخطابٌ خاصّ ورد في قصة فرعون، وما اكتنفها من سماتٍ خاصّة بهذا الطاغي المُتجبّر. أمّا القول بتناوب (ثُمّ) و(أو) فأوهن من سابقه، إذ إنّ القول بإلزام الله الناس التقوى بالوعيد ، ثم ذكر ذلك الوعيد، لا يسنده نقل معتبر، ولا يناسبه مقام الاختيار في عالم الدنيا، وأنّ استدلال بأنّ(لعلّ) على لسان الله في مواضع القرآن الكريم كلِّها واجبةٌ ، ينقضه ما أثبته العلماء في معنى هذه الآية بأنّ الرجاء هو من العباد، لا من الله عزَّ وجلّ. [٩٧]

النموذج السادس: في قوله تعالى في ذمِّ اليهود : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[٩٨]. كان للعلماء في معنى(أو) مذاهب شتَّى، فمنهم من ذهب إلى أنها بمعنى الواو، ومنهم من قال بنيابة (بل) عنها، على حين أنس آخرون ببقاء(أو) على معناها ، وإن اختلفوا في بيان معناها على أوجهٍ متعددة، وسنجمل القول في آرائهم وأدلّتهم على النحو الآتي:

الرأي الأول: ذهب أصحابه إلى أنّ(أو) بمعنى الواو، أي:(كالحجارة وأشدّ قسوة)، قال الأخفش:((إنما هذه(أو) التي في معنى الواو))[٩٩]، وتابعه الجرجاني، والسمعاني، والبغوي،

---

[٩٥] – تفسير القمي ٩/٢٩.

[٩٦] – ينظر: بحار الأنوار٢٧٥/٦٧، والميزان ١١٤/١٤.

[٩٧]– ينظر : جامع البيان ٣٨١/١٨، والتبيان في تفسير القرآن ٢٠٨/٧، والمحرر الوجيز ٦٥/٤، والميزان ١١٣/٤.

[٩٨] – سورة البقرة : من الآية٧٤.

[٩٩] – معاني القرآن ١١٥/١.

والرازي، والقرطبي، وابن مالك[١٠٠] ، واحتجوا بالسماع من القرآن الكريم وكلام العرب المناظر لهذا المعنى[١٠١]، كقوله تعالى: وَلا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ، معناه : وبيوت آبائكم، وقوله عزّ وجلّ: وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً)، بمعنى: وكفوراً، وقول جرير:[١٠٢]

نَالَ الْخِلافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَراً كَمَا أَتَى رَبَّه مُوسَى عَلَى قَدَرِ

يعني: نال الخلافة، وكانت له قدراً، وكما قال النابغة الذبياني:[١٠٣]

قَالَتْ: ألا لَيْتَمَا هذَا الحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا، أو نِصْفُهُ فَقَدِ

يريد: ونصفه فقدِ.

الرأي الثاني: إنّ (أو) هنا بمعنى (بل) التي للإضراب ، كقوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون، معناه: بل يزيدون[١٠٤]، وإليه ذهب الثعلبي، قال: ((أو أشدُّ قسوةً، أي: بل أشدُّ قسوةً))[١٠٥]، وتابعه في ذلك الواحدي، والسيد محمد الطباطبائي، والطاهر بن عاشور.[١٠٦]

الرأي الثالث: آمَنَ أصحابه بقصدية استعمال(أو) في التعبير القرآني، فأقروها في الآية على بابها، ورفضوا نيابة غيرها عنها، على أنّهم اختلفوا في بيان معناها على أوجه، هي:

١ـ معناها الإباحة، قال بذلك الزجاج، واختاره مكي القيسي[١٠٧]، واستحسنه السمعاني ومثّل الزجاج لمعنى الآية بقولهم: (الْقَ الفقهاءَ أو المُحدِّثينَ)، أي: هذان القبيلان من العلماء أهلٌ للقاء، فإن لقيتَ أحدهما أو كليهما، فأنت مصيب ، ومعنى الآية على هذا: إن قلوب اليهود قاسية يابسة لا يرشح عنها الخير، فإن شُبِّهوا بالحجارة، أو بما هو أشدُّ ، أو بكليهما ، كان صواباً .[١٠٨]

٢ـ معناها التفصيل (التنويع)، أي ، هما فرقتان: فيهم مَن قلبه كالحجر، وفيهم مَن قلبه أشد من الحجر، ذهب إلى ذلك السهيلي بقوله:((وأمّا قوله تعالى: فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً، فإنّه

---

[١٠٠] – ينظر: درج الدرر ٣١/٢، وتفسير القرآن للسمعاني ٩٥/١، ومعالم التنزيل ١٣٢/١، ومفاتيح الغيب ٥٥٥/٣، والجامع لأحكام القرآن ٤٦٣/١، وشرح الكافية الشافية ١٢٢٣/٣– ١٢٢٤.

[١٠١] – ينظر: جامع البيان ٢٣٥/٢–٢٣٦، والنكت والعيون ١٤٥/١، ومعالم التنزيل ١٣٠/١، والمحرر الوجيز ١٦٦/١، ومفتح الغيب ٥٥٥/٣.

[١٠٢] – ديوانه ١٢٥.

[١٠٣] – ديوانه ٣٢.

[١٠٤] – ينظر: جامع البيان ٢٣٧/٢ ، والنكت والعيون ١٤٥/١–١٤٦.

[١٠٥] – الكشف والبيان ٢٢١/١.

[١٠٦] – ينظر: التفسير الوسيط ١٥٨/١، والميزان ١١٥/١ ، والتحرير والتنوير ٥٦٣/١.

[١٠٧] – ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١/ ٣١٣.

[١٠٨] – ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١٥٦/١.

ذكرَ قلوباً، ولم يذكر قلباً واحداً، فهي على الجملة قاسية، وعلى التعيين: إمّا كالحجارة، ففيها ما هو كذلك، وإما أشد قسوة، ففيها ما هو كذلك أيضاً))[١٠٩]، ورجّحه أبو حيان .[١١٠]

٣ـ معناها الشك، منسوباً إلى المخاطب ، لا إلى المتكلم ، إذ لا يصحّ عليه(عزّ وجلّ، وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً)، وقد بيّن الطبري مؤداه، وإن لم يتبنّاه ، فقال: إنّه خبرٌ منه سبحانه ((عن قلوبهم القاسية: أنّها - عند عباده الذين هم أصحابها، الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله - كالحجارة قسوة أو أشدّ من الحجارة، عندهم وعند من عرف شأنهم)) .[١١١]

٤ـ معناها التخيير، أي: اختيار أحدهما، جوّز ذلك الطاهر بن عاشور ، مبيّناً مؤدّى هذا المعنى وغرضه ، فقال: ((وَالْمَقْصُودُ مِنَ التَّخْيِيرِ: أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَرْمِي بِكَلَامِهِ جُزَافاً وَلَا يَذُمُّهُمْ تَحَامُلاً، بَلْ هُوَ مُتَثَبِّتٌ مُتَحَرٍّ فِي شَأْنِهِمْ فَلَا يُثْبِتُ لَهُمْ إِلَّا مَا تَبَيَّنَ لَهُ بِالِاسْتِقْرَاءِ وَالتَّقَصِّي، فَإِنَّهُ سَاوَاهُمْ بِالْحِجَارَةِ فِي وَصْفٍ، ثُمَّ تَقَصَّى، فَرَأَى أَنَّهُمْ فِيهِ أَقْوَى، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِلْمُخَاطَبِ: إِنْ شِئْتَ فَسَوِّهِمْ بِالْحِجَارَةِ فِي الْقَسْوَةِ، وَلَكَ أَنْ تَقُولَ هُمْ أَشَدُّ مِنْهَا وَذَلِكَ يُفِيدُ مَفَادَ الِانْتِقَالِ)) [١١٢]، وهو يقصد بالانتقال التدرُّج في المعنى من الأقلِّ إلى الأكثر.

٥ـ معناها الإبهام على المخاطبين ، وإن كان الله تعالى عالماً بذلك، وقد بيّن ذلك المعنى الطبري ناسباً إيّاه إلى جماعة من أهل العربية لم يسمّهم.[١١٣] وإلى هذا المعنى ذهب السيرافي[١١٤]، ورجّحه الشيخ الطوسي[١١٥]، وبيّن السيد المرتضى(ت ٤٣٦هـ) غرضه في الآية المذكورة ، فقال: إنّه ((تعالى لم يقصد في إخبارهم عن ذلك إلا التفصيل، بل علم(عزّ وجلّ) أنّ خطابهم بالإجمال أبلغُ في مصلحتهم، فأخبرَ تعالى أنّ قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمَّهم كالحجارة أو أشدّ قسوة، والمعنى: إنّها كانت كأحد هذين لا يخرج عنهما)).[١١٦]

وهذا المعنى الأخير هو الراجح، وهو المروي عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير الآية الكريمة، فقد رُوي عن الإمام الحسين (عليه السلام) قوله: (((أو أشد قسوة) أبهم على السامعين ولم يبيّن لهم، كما يقول القائل : (أكلت خبزاً أو لحماً)، وهو لا يريد به: أنّي لا أدري، بل يريد أن يُبهَمَ على السامع حتى لا يعلم ماذا أكلَ ، وإن كان يعلمُ أن قد أكل أيهما)).[١١٧]

ورُوي عن الإمام العسكري في إثبات معنى الإبهام هنا وتفنيد ما سواه قوله : ((□ أو أشدُّ قسوة□ أبهمَ على السامعين ولم يُبيّن لهم ... وليس معناه: بل أشدّ قسوة؛ لأنّ هذا استدراكُ غلطٍ،

---

[١٠٩] – نتائج الفكر ١٩٩/١.

[١١٠] – ينظر: البحر المحيط ٤٢٣/١.

[١١١] – جامع البيان ٢٣٥/٢.

[١١٢] – التحرير والتنوير ٥٦٤/١.

[١١٣] – ينظر: جامع البيان ٢٣٥/٢-٢٣٦.

[١١٤] – ينظر : شرح كتاب سيبويه ٤٢٧/٣- ٤٢٨.

[١١٥] – ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣٠٥/١.

[١١٦] – أمالي المرتضى ٢/ ٥٥.

[١١٧] – نور الثقلين ١٠٠/١.

وهو (عزّ وجلّ) يرتفع عن أن يغلطَ في خبرٍ، ثم يستدرك على نفسه الغلط؛ لأنّه العالم بما كان، وبما يكون، وبما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وإنّما يستدرك الغلطَ على نفسه المخلوقُ المنقوصُ. ولا يريد به أيضاً: (فهي كالحجارة أو أشدّ) أي: وأشدّ قسوة؛ لأنّ هذا تكذيب الأول بالثاني، لأنّه قال: (فهي كالحجارة) في الشدّة، لا أشدّ منها ولا ألين، فاذا قال بعد ذلك:(أو أشدّ)، فقد رجع عن قوله الأول: إنّها ليست بأشدّ ... وبيّن في الثاني أنّ قلوبهم أشدُّ قسوةً من الحجارة، لا بقوله:(أو أشدُّ قسوةً) ، ولكن بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾)).[١١٨] ويُستدل من كلام الإمام العسكري(عليه السلام) أنّه يُفنِّد القول بالنيابة عن (أو) في معنى الآية الكريمة بأدلّة معتبرة ، فلا يمكن أن يستقيم المعنى على الاستدراك بـ (بل)، وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الأول، والإضراب عنه، وذلك ممّا يوجب الغلط ، وهو من شؤون المخلوقين لا الخالق. ولا يمكن أن يستقيم معنى الآية بـالواو أيضاً، ذلك أنّ معنى الواو الجمع بين شيئين في حالين مختلفين، فلا يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة أو أشد من الحجارة في حال واحدة، ذلك أنّ قلوبهم قد أخبر عنها بأنّها قاسية كالحجارة، فلم يجز أن يكون الخبر الثاني على خلاف ذلك.

ومنه يُفهَم أنّ إرادة الجمع ممتنعة هنا ، وأنّ التفاوت بين قسوة قلوب اليهود وقسوة الحجارة إنما يُستفاد من قوله تعالى : (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)، كما صرّح الإمام العسكري بذلك، فقلوب اليهود أقسى، لا ينضح منها خيرٌ أبداً، بخلاف الحجارة التي تطيع أمر ربّها.

نتائج البحث :

أثبت البحث إمكانَ القولِ بنقض تناوب حروف العطف في التعبير القرآني، وقد ذهب إليه جملة كبيرة من المفسرين ، مستندين إلى جواز أن ينوب حرف عطف عن حرف العطف المستعمل في التركيب ، لداعٍ في المعنى. وقد استند الباحثان في نقض هذا القول إلى أساسيات مبدأ القصدية بالاعتماد على معطيات أظهرها الجانب التطبيقي لدراسة نماذج من نصوص القرآن التي قيل فيها بالتناوب بين حروف العطف ، ولعلَّ أهم هذه المعطيات:

١-الاستناد إلى القواعد العقائدية الثابتة التي أسسها آل البيت (عليه السلام) في فهم النصوص القرآنية، كقاعدة الجري في الخطابات القرآنية، التي تمنع قصر حكم الآية على الحادثة التي نزلت فيها، والانتفاع من هذه القاعدة ؛ لتفنيد الأقوال الاحتمالية للمفسرين.

٢- الاستناد إلى التفسير المروي عن آل البيت ، الذين هم عِدْلُ القرآن وتراجمة الوحي، في بيان معنى النص القرآني المتضمن لحرف العطف ، من ذلك الحرف (أو) الوارد في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، إذ رُوي عن الإمام الحسين (عليه السلام والإمام الحسن العسكري (عليه السلام دلالة (أو) في الآية الكريمة على الإبهام ، وبه تُفند أقوال المفسرين في تناوبه مع الواو أو (بل) المستندة إلى احتمالات النص.

---

[١١٨] – تفسير الأمام العسكري ١١/٦٨.

٣- ردّ استدلال المفسرين بالمناظرة بين الآية - موضع الدراسة والآيات التي تقارب سياقها وتحمل معناها ليصح تناوب (الواو) مثلاً مع (الفاء ، و أو) ، ونقض ذلك الاستدلال باختلاف مقصد كلِّ آية عن الآية الأخرى تبعاً لتباين السياقين اللذين تردان فيه.

٤. الاعتراض على قياس حكم الآية القرآنية موضع الدراسة بأبيات شعرية مولّدة لم يُوثّقها العلماء ، مع اختلاف نظم التعبير القرآني وسياقه عن الشعر.

٥. الاستناد إلى السياقين الداخلي والخارجي في الشواهد القرآنية المدروسة ؛ لإثبات قصدية استعمال حروف العطف بمعناها الأصلي ، ونقض القول بالحذف، أو العطف بين الأخبار، أو التفاوت في الرتبة، أو التقديم والتأخير، أو المجاز.

٦. استقراء الاستعمال القرآني لإثبات الفروق اللغوية الدقيقة بين المتعاطفين، نحو (الاستغفار، والتوبة في قوله تعالى : (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ؛ لإنكار أنّهما بمعنى واحدٍ ، الذي رتب عليه القائلون بنيابة (الواو) عن (ثُمَّ) ، ذلك أنّ الواو تجمع بين متفقين أو المتغايرين، وهو معنًى لا يُتَحَصَّل بـ (ثُمَّ).

ثبت المصادر والمراجع :

-القرآن الكريم

- إعراب القرآن: النحاس (أحمد بن محمد بن إسماعيل ت٣٣٨هـ)، تحقيق د. زهير غازي زاهد عالم الكتب ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨ م .
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد): الشريف المرتضى (علي بن الحسين الموسوي ت٤٣٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ط١، ١٩٥٤م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي ، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : البيضاوي (عبد الله بن عمر بن محمد (، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- بحار الأنوار: المجلسي (محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي ت١١١هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨م.
- بحر العلوم : السمرقندي (نصر بن محمد بن أحمد ت ٣٧٣هـ) ، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م
- البحر المحيط : أبو حيان النحوي (محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، شارك في تحقيقه د. زكريا عبد المجيد النوتي ود. أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : ابن عجيبة الأنجري (أحمد بن محمد بن المهدي ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر د. حسن عباس زكي، القاهرة ، ط ١، ١٤١٩هـ
- تأويلات أهل السنة : الماتريدي (محمد بن محمد بن محمود ت ٣٣٣هـ)، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم : ابن زبر الربعي (محمد بن عبد الله بن أحمد ت ٣٧٩هـ)، تحقيق د. عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

- التبيان في تفسير القرآن الطوسي(محمد بن الحسن ت٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١،١٤٠٩هـ.

- التحرير والتنوير : الطاهر بن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد ت ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر، تونس ، ط ١ ، ١٩٨٤م .

- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي ت ٧٤١هـ)، تحقيق د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ط ١، ١٤١٦ هـ .

- التفسير البسيط : الواحدي، تحقيق لجنة من الأساتذة، نشر جامعة محمد بن سعود، السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ.

- التفسير الصافي : الفيض الكاشاني (محمد محسن بن مرتضى بن محمود ت ١٠٩١هـ) ، قدّم له الشيخ حسين الأعلمي، مكتبة الصدر، طهران، ط ١، ١٤١٥هـ.

- تفسير القرآن: ابن أبي حاتم (عبد الرحمن بن محمد ت ٣٢٧هـ) ، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ.

- تفسير القرآن: السمعاني (منصور بن محمد بن عبد الجبار ت٤٨٩هـ) تحقيق ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن ، الرياض ، ط١، ١٩٩٧م.

- تفسير القرآن : العز بن عبد السلام (عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ت ٦٦٠هـ) ، تحقيق د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٦م .

- تفسير القرآن العظيم : ابن كثير (إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.

- تفسير القمي: القمي (علي بن إبراهيم (ت ٣٩٢هـ)، صححه وعلق عليه وقدم له السيد طيب الموسوي الجزائري، دار الكتب للطباعة والنشر، طهران، ط ٣، ١٣١٣هـ .

- تفسير مقاتل بن سليمان : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت١٥٠هـ) تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط ١، ١٤٢٣هـ .

- التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري: الإمام العسكري (الحسن بن علي الهادي ت ٢٦٠هـ)، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي، مطبعة مهر ، قم المقدسة، ط١، ١٤٠٩هـ.

- التفسير الوسيط :الواحدي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٩٩٤م.

- تفسير يحيى بن سلام : يحيى بن سلام (ت ٢٠٠ هـ)، تحقيق د هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١،٢٠٠٤م

- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد : ناظر الجيش (محمد بن يوسف بن أحمد ت ٧٧٨هـ)، تحقيق د. علي محمد فاخر ، دار السلام، مصر، ، ط ١، ١٤٢٨هـ.

- جامع البيان في تأويل آي القرآن : الطبري (محمد بن جرير بن يزيد ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ ، . ،٢٠٠٠م.

- الجامع لأحكام القرآن : القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

- درج الدرر في تفسير الآي والسور : الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت ٤٧١هـ)، تحقيق وليد بن أحمد صالح، مجلة الحكمة بريطانيا، ط ١، ١٤٢٩هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي (أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٤م .
- ديوان جرير بن عطية: تحقيق نعمان أمين طه ، دار المعارف، مصر،١٩٦٩م.
- ديوان النابغة الذبياني: تحقيق د شكري فيصل ، دار الفكر ، بيروت، ١٩٦٨م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الآلوسي(محمود بن عبد الله الحسيني ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٥،١هـ.
- زاد المسير في علم التفسير : جمال الدين ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ) تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط ١، ٤٢٢هـ.
- زهرة التفاسير: أبو زهرة (محمد بن أحمد بن مصطفى ت ١٣٩٤هـ) ، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨٧م
- شرح الرضي على الكافية: الرضي الاسترابادي (رضي الدين محمد بن الحسن ت ٦٨٦هـ)، تحقيق د. يوسف حسن ،عمر منشورات جامعة قار يونس،١٩٩٦م.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل : الكرماني (برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر ت ٥٠٥هـ) ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، (د. ت)
- غريب القرآن : ابن قتيبة ، تحقيق أحمد صقر ، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧٨.
- فتح القدير : الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق - بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ .
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) : الطيبي (الحسين بن عبد الله ت ٧٤٣هـ) مقدمة التحقيق : إياد محمد الغوج، ، نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٣.
- الكافي: الكليني (محمد بن يعقوب بن إسحاق ت (٣هـ)، ط ٤ ، دار الكتب، الإسلامية، طهران، د.ت.
- كتاب سيبويه : سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م.
- الكشاف عن خصائص غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري ،دار الكتاب العربي بيروت ، ١٩٤٧م .
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن : الثعلبي(أحمد بن محمد إبراهيم ت ٤٢٧هـ)، تحقيق أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي (الفضل بن الحسن ت ٥٤٨هـ) تقديم السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، ط١، ١٩٩٥ م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية (عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل : النسفي (عبد الله بن أحمد بن محمود ت ٧١٠هـ)، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن : البغوي (الحسين بن مسعود ت٥١٠هـ) ، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ط٤، ١٩٩٧م.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية : أبو إسحاق الشاطبي (إبراهيم بن موسى ت٧٩٠هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، طبعة معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، السعودية، ط١، ٥. ٢٠٠٥م .

- معاني القرآن : الأخفش (سعيد بن مسعدة ت ٢١٥هـ) تحقيق د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٠م.
- معاني القرآن: الفرّاء (أبو زكريا يحيى بن زياد ت ٢٠٧هـ) ، أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر، ط١، ١٩٥٥م.
- معاني القرآن : النحاس (أحمد بن محمد بن إسماعيل ت٣٣٨هـ)، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن وإعرابه : الزجاج (إبراهيم بن إسحاق بن سهل ت٣١١هـ) ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ذوي القربى، قم المقدسة، ط٣، ٢٠٠٥م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : فخر الدين الرازي(محمد بن عمر بن الحسن ت ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ .
- ميزان الحكمة محمد الريشهري دار الحديث، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م
- نتائج الفكر في النَّحو : السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ت ٥٨١هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢م.
- النكت والعيون: الماوردي (علي بن محمد بن محمد ت ٤٥٠ هـ)، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. (ت).
- نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعه العروسي الحويزي (ت ١١١٢هـ) ، مؤسسة اسماعيليان قم المقدسة، ط٤،١٤١٢هـ.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه : مكي بن أبي طالب، مجمع بحوث الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية الشارقة ، ط ١ ، ٢٠٠٨م.
- الوجوه والنظائر : أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله ت ٣٩٥هـ)، تحقيق محمد عثمان ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٧ م .